اسم المصدر: الجزيرة

التاريخ: 06-12-2008 رقم العدد: 13218 رقم الصفحة: 34 مسلسل: 297 رقم القصاصة: 1

جازان حين تغسل وجهها بندى الصباح

جابر حسين المالكي

عهدتها قبل سنوات قليلة ترسم أحلامها على لوحة القدر، تحمل روحها إلى الشاطئ القريب تتأمل روعة البحر تساهر النجوم والقمر تغفو قليلا على صوت تلاطم الأمواج وتستيقظ على أنغام الصيادين وأهازيج الرعاة والمزارعين ووشوشة السنابل، تغسل وجهها بندى الصبح العليل، تبدأ يومها بحيوية ونشاط، يكسوه التفاؤل بإشراقة سعيدة تملؤها الثقة بالله وصدق التوكل عليه، تمنح أحلامها مزيجاً من ألوان الفرح المعطر بنسائم الأمل المطرز بالدعاء أن يحقق الله أحلامها وأمانيها، أعرفها ببساطتها في كل أمورها لكنها والحق يقال عظيمة في داخلها، ربطتني بها علاقة نسب وحب وانتساب وعشنا أجمل أيام الحب والحنان وأعذب ليالي الصدق والوفاء، كنا نشكو لبعضنا همومنا وتطلعاتنا ونتبادل أسرارها كانت تقول لي لا تيأس في حياتك فالنجاح قد لا يأتي مع أول خطوة قد نحتاج إلى خطوات حتى نحقق أولى درجاته والحياة مليئة بالتجارب وعلينا الاستفادة من حقول الآخرين.

وذات مساء ونحن نتأمل لوحة غروب الشمس قالت لي إنه لا يعني نهاية يوم من حياتنا بل هو البشرى بميلاد فجر جديد وإشراقة عشق متجدد كانت تزرع في نفسي وذاتي بذور الثقة وتغرس أشجار الإخلاص وكانت تسكب في ضميري رحيق الإيثار والتعاون، وفي كل لقاء كانت تضع يدها على صدري وتقول: ما فائدة هذه النبضات إذا لم تكن للحب والخير والإيمان.

كانت تمعن النظر في أحداقي وهي تردد: قد نفترق فلا تنسني أو قد نبتعد فلا تهجرني، وبالفعل فرقتنا الأيام وباعدت بيننا الظروف لكن القلوب ما زالت تحن لبعضها وتتذكر تلك الأيام الجميلة والليالي الخوالي حين كنا نتبادل صور الوفاء ومشاعر الصدق والصفاء، وفي ليلة من ليالي العاشقين أخذني إليها الشوق والحنين جئتها زائراً وللأرحام واصلاً، سلكت تلك الدروب التي كنت أتخذها طريقاً إليها وكلما اقتربت زادت دقات قلبي خفقانا.

لكن المفاجأة أني لم أجدها في المكان الذي عهدتها فيه قبل الفراق والذي بدأت منه قصة حبنا وعشنا فيه أجمل وأحلى لحظات عشقنا ونقرنا فيه أعذب وأرق كلمات الدفء والوفاء ورسمنا منه أشكال العطاء وعلى جدرانه كتبنا بذرات ترابه أسمى عبارات الولاء، انتظرت لعلها تأتي لكنها لم تقفل دعوت الله أن يكون في الأمر خير، طال انتظاري وزاد شوقي ونفد صبري وفي خيمة الظلام حل الصمت والسكون، وإذا بهمس قادم من هناك يحمله أثير المكان عاد الأمل من جديد إنها هي، تتبعت مصدره لكنها لم تكن ضالتي التي أبحث عنها والتي هناك ذهبت من أجلها كيف أصفها لكم، إنها فاتنة، إنها عاشقة، إنها ساحرة اقتربت منها وهي تناجي القمر يرافقني الخوف والدهشة وأخذت أنصت لها وهي تحكي له عن قصة العشق بينها وبين حبيبها الذي قالت عنه انه منحها عطفه وحنانه وأغرقها في بحر كرمه، وأخذت تسرد الكثير من القصص البطولية وتروي العديد من المواقف الرجولية والتضحيات الإنسانية التي قدمها لها ولأهلها وأهداهم نفسه الأبية وروحه الزكية.

وقفت بالقرب منها أتامل هذه المشاعر الجياشة بالحب والاحترام والفخر والاعتزاز وتلك الأحاسيس الرقيقة النابعة من أعماق القلب المتدفقة من صميم الفكر متسائلا: يا ترى من تكون هذه العاشقة ومن هو فارس أحلامها الذي ملأت به عيونها وجوانحها، اقتربت منها في دهشة من أمري أحمل في يدي باقة مشكلة من الورد الفواح أدارت وجهها نحوي وأخذت نفساً عميقاً ثم ابتسمت بثغرها الفتان بكل لطف وحنان صافحتني وبمعاني الأدب والاحترام رحبت بي رائحة الفل والكادي والشيح والبعيثران فاح من كل ضواحيها، قالت: ما أجمل هذا الورد الذي تحمله من أي البساتين قطفته قلت إنه من روابي نجد أرض المجد كما توقعت قالتها وهي تستنشق رائحته قلت لها وكيف عرفت اقتربت مني ووضعت يدها على كتفي وبعد صمت دام ثوانٍ قليلة أجابت أن فيه رائحة السلم والسلام وعبق الحب والاحترام في جذوره ماض تليد وفي رائحته حاضر فريد وفي أوراقه مستقبل خير جديد، سألتها بعجب ياعروسة من تكونين؟!

غريبة ما عرفتني؟ تعرف يمكن باقي من ملامح المأي علامة اعذريني والله لم أعرفك، لكن ذكريني ببعض المواقف ولا الأماكن يمكن أعرفك أو أذكرك.. مع أني متأكد أنه لم يجمعنا من قبل أي لقاء. وضعت يدها الأخرى على كتفي الأخر ثم هزتني وهي تقول بخجل يكسوه الفخر والاعتزاز وتطغى عليه علامات الفرح والبهجة والسرور: ألا تذكر الجزر وآهات العاشقين وشجاعة الصامدين.

ألا تذكر السهول الممتدة وفيها حقول الوفاء وألوان العطاء.

ألا تذكر شموخ المجد فوق راسيات الجبال.

ألا تذكر الوادي وأسرار الحياة وذكريات المطر والزمن الجميل.

جابر حسين المالكي

ألا تذكر الغدير وسنابل القمح والخير الوفير.

ألا تذكر الأمن والأمان والحب الكبير.

ألا تذكر لغات الحب التي كنا نتجاذبها لحظة الغروب ويعجز النواقع أن يترجمها.

ألا تذكر مدرسة الولاء التي تعلمنا فيها دروس التربية والذاء.

ألا تذكر مصنع العطاء ورجال التضحية والوفاء.

ألا تذكر نبع الحنان نساء كلهن دين وحشمة وحياء.

من عيوني يشع النور والضياء ومن أعماق قلبي يتدفق الصدق والصفاء من خيراتي يغتني الفقير ويشبع الجائع ويرتوي الظامئ.

حياتي معانيها عطاء أهلي شعارهم كلنا لك ذداء.

تراهم في حياتهم اليومية بسطاء بتواضعهم لكنهم في سلم المجد عظماء بعلمهم وثقافتهم وأدبهم صوت آخر قادم من هناك ينادي.

وهل تذكر العلم وهؤلاء العلماء.

وهل تذكر الأدب والثقافة وهؤلاء الشعراء.

وهل تذكر التاريخ ووثيقة العهد التي وقعها الشرفاء.

وهل تذكر البيوت المتناثرة يوم كنا نعدو بينها وفيها فنون العمارة وأشكال التصميم.

وهل تذكر دقات الطبول وأهازيج الفرح بين الحقول.

وهل تذكر لوحة غروب الشمس وألوان قوس قزح حين كنا نتأملها.

وهل تذكر حبات المطر وهي تحاول أن تغير أجاج البحر.

فهل عرفتني أو تذكرت بعض من ملامحي؟!

ألا تجيب؟ ماذا دهاك أراك شارد الفكر يبدو أنك تحاول أن تتذكر شيئاً ما؟ لا لا لقد أعدتني

اسم المصدر: الجزيرة

التاريخ: 06-12-2008 رقم العدد: 13218 رقم الصفحة: 34 مسلسل: 297 رقم القصاصة: 2

إلى التي جئت إلى هنا من أجلها ولم أجدها لقد كنت نسخة من ذكريات معها، ألم تربيا في أحد الأيام هنا أو سمعت عن أخبارها؟

قالت آلا تتوقع أن أكون هي؟ نظرت في وجهها بكل دقة قلت مستحيل ولماذا؟

أرجوك يا حسناء كفي بربك من تكوينين؟!

أجابت: آلا يكفي ما ذكرت لك؟ إذ كنت مصراً على معرفتي فذاك القمر أسألة لعله يجيبك.

أردت أن أفعل لكنه غادرنا إلى عالم الغيب.

وأشرقت الشمس بإذن ربها ولا أزال في حيرة من أمري من تلك الفاتنة التي سلبت عقلي.

وسحرت عيني وسرقت قلبي، وأخذت أجر خطاي عائداً من حيث أتيت أحمل في نفسي وذاتي أسئلة جائعة تحتاج إلى إجابات مشبعة.

وقادتني قدماي إلى ذلك الشاطئ الجميل وقفت أتأمل روعة شروق الشمس وهي تصافح بذهبيتها زرقة البحر.. وبينما كنت كذلك.

جاءتني الأمواج تتسابق وأخذ البحر ينظر في وجهي وكأنه من زمن بعيد يعرفني متى أتيت إلى هنا؟ وما أسباب كل هذا الغياب؟ بقيت صامتاً أستمع لهذه الأسئلة ثم قال: آلا تجيب؟

تلفت يميناً وشمالاً فلم أر أحداً حولي، عفواً هل تقصدني؟ نعم وهل تعرفني يا بحر؟ نعم يا ابن الجبل يا جندي الوطن؟ ألست أنت؟ قلت بلى. اقترب البحر مني قليلاً: لكن قل لي ما يشغل فكرك؟

آه يا بحر آه إنها فاتنة.. إنها جوهرة.. إنها درة..

كانت البارحة تناجي القمر تتباهى بنفسها وجمالها وتتغنى بروعة محبوبها وتتفاخر بأصله ووفائه لها وبعشقه وإخلاصه الذي لا ينتهي اتجاهها.. سألتها من تكون هي ومحبوبها فلم أخرج بإجابة واضحة، أنبأ البحر يا ترى من تكون؟ وإلى من تكون؟ ولأي الأسر تنتمي؟ ومن هو عشيقها هذا الذي طاولت به آفاق الحب وذرى المجد؟ وابن من يكون؟ ولأي الأسر ينتمي؟

بسيطة قالها البحر والإجابة عندي صحيحة تعال اجلس لأحكي لك عنها. لا يا بحر لا أستطيع الجلوس فأعصابي تحترق. لا عليك اجلس فالحكاية طويلة والقصة عظيمة وأحتاج إلى وقت حتى أقنعك بالحقيقة.

هذه يا عزيزي (جازان) ابنة الوطن وتنتمي لعائلة المملكة العربية السعودية بارك الله فيها وحماها من شر الحاسدين.

وبمعرفة تلك الفاتنة فلعلك تكون قد عرفت عشيقها الذي هو أمير المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبدالعزيز آل سعود من أحفاد فارس الجزيرة العربية وموحد هذه البلاد ينتمي للأسرة العريقة أسرة المجد والشرف والتاريخ العظيم أسرة آل سعود الكريمة، صرخة في وجه البحر أطلقتها مردداً: كفى.. كفى.. يا بحر كفى فالمعرف لا يعرف.. يا للهول هاج البحر وأخذت الأمواج تزمجر غاضبة من هذه الصرخة ألم تصدقني.

لماذا هذه الدمعة التي أراها تختبئ خلف كثبان الدهشة، بل أنبأ البحر لقد صدقتك في كل ما ذكرته لكن لم أكن أتخيل أن هذه هي جازان أما هذه الدمعة فهي الفرح بالمفاجأة هي الفخر والاعتزاز بكل ما أراه من إنجازات حضارية ومشاريع تنموية لا يصنعها إلا العظماء ولا يبنيها غير الأوفياء لقد أصابتني الدهشة وأنا في عقر داري وأنت تخبرني أن تلك الفاتنة هي (جازان) ولكن قل لي كيف تم كل هذا التحول في المنطقة بين يوم وليلة وكيف صار الحلم حقيقة كان أشبه بالخيال على أرض الواقع؟ لعلك يا عزيزي وأنت تزور هذه المنطقة من حين لآخر تلحظ في كل ناحية أن الكل يعمل على قدم وساق كل في مجال عمله وتخصصه يحمل هم نجاح مهمته التي أوكل بها. جازان يا الغالي ها هي تسابق الزمن وتواصل الركض نحو ميادين التنمية وقد يكون الواقع هو من يتكلم حين يعجز المتحدث عن وصف شعوره وهو يرى هذه التنمية قد طالت كل مكان الواقع هو من يصافح المستمع ويعانق الزائر وهو يقول له هذه معالم جازان وهذه مصانعها هذه خيراتها وتراثها وهؤلاء هم أبناء المنطقة المبدعين في شتى المجالات هنا جامعة جازان التي يتلقى طلابها علومهم من كادر تعليمي عالي المستوى ومن ضمن كلياتها كلية الطب التي يطبق طلابها ما تعلموه في أكسير المستشفيات العلمية في الخارج وهي الوحيدة التي تميزت بذلك على باقي الكليات في المملكة وهنا سيقام مصنع للسيارات ماذا أقول لك يا عزيزي وكيف أنقل إلى المستقبل الذي ننتظره في هذه المنطقة عبر مدينة الملك عبدالله الاقتصادية التي يحق هي هدية إنسانية وخطوة قيادية وحنكة سياسية ترجمها قائد المسيرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله يحفظه الله معبراً عن حبه لنا في هذه المنطقة وإيماناً منه يحفظه الله بأنها كنز الوطن الذي لم يستثمر وحرصه على أن تصبح جازان منطقة العصر بكل ما تعمله هذه الكلمة من معاني في عمق الواقع ومستقبل الوطن.

حقاً إن جازان لم تعد تلك لامنطقة التي عهدتها قبل سنوات قليلة كانت تنام على أحلام أبنائها وتعيش الأمل بتطلعاتهم التي ربما كانوا يخفونها في صدورهم لا لشيء إنما لأنها تفوق الخيال، من يراها اليوم لا يكاد يصدق كل هذا الإنجاز الذي حققته بفضل الله ثم بفضل العناية التي حظيت بها من لدن حكومتنا الرشيدة.

جازان يا روعة الجمال، يا أوفى العاشقين، وأصدق الشاكرين وملتقى المخلصين، وصانعة المبدعين، جازان يا منطقة المستقبل الواعد والغد المشرق بالتنمية والازدهار، يحق لك أن تفخري بهذا الحب وبمن بادلته كل تلك المشاعر الصادقة والأحاسيس النجياشة بأسمى معاني الاعتراف بالمعروف ونحن نشاركك هذا العشق وذاك الحب لذلك العشيق الذي يستحق منا جميعاً كل هذا الحب والوفاء والعطاء وصادق الدعاء ويحق لنا أن نبارك لك ولمنا بهذا الفارس الذي جاء إلينا رسولاً من صقر العروبة وملك الإنسانية الذي لا يختار للمعارك إلا فرسانها ولا يوجه للحق الا السهام الخير.

صوت الأرض لغة الحب من كل مكان صداها، ينادي أنا ذرات التراب قطعة من مجد الرياض وأمجاد فارسها، شكراً لمن منحني كل هذا النجاح الذي أحمله، شكراً لمن حول لوحة من وحي الخيال إلى حقيقة من واقع الحياة.

شكراً.. شكراً.. شكراً لمن كسا تلك الرسومات ألوانا طبيعية وجعلها أحلاماً حقيقة وجعل تلك المجسمات حقائق حية وشاهدة بلاهسها من عرف شيئا في العالم اسمه (جازان).

توقيع

قال الشاعر الكبير الأستاذ إبراهيم العواجي في ديوانه الجديد (غربة) قصيدة بعنوان (جازان).

شاعر سامه هجير الصحاري
شاقه البحر سابقته خطاه
شاعر أرضه عطاء وطهر
وصفاء ووحدة ورفاه
كل شبر بموطني يقتفيني
يحتويني ويحتبيني هواه
إيه جازان ها شددت رحالي
أغرس الحب في رؤاك مداه
كم عرفناك للفنون خلودنا
كم تباري على ثراك صداه
من صبا نجد جئتكم بعبير
من شذاكم يفوح في شذاه

japire@hotmail.com